سياسة حاكم

يُحكى أن أحد ملوك القرون الوسطى كان يحكم شعبًا حرًّا كريمًا، وكان هذا الشعب على الرغم من طيبته وبساطته وعلاقاته الطيبة لا يسكت على باطل أبدًا، ولا يدع الملك أو أي وزير من وزرائه يظلمون أحدًا منهم، فإذا ظُلم أحدهم وقفوا وقفة رجل واحد، حتى يُرد الظلم عن أخيهم.

أخذ الملك في حيرته يسأل وزراءه عن الحل، وكيف له أن يحكم هذا البلد كما يريد، فخرج من وزرائه رجل داهية، أشار عليه باتباع سياسة يسميها سياسة البيض المسروق، فما تلك السياسة؟

نادى في الناس بأن الملك يريد من كل رب أسرة خمس بيضات من أي نوع، فقام الناس بجمع البيض والذهاب به إلى قصر الحاكم، وبعد يومين نادى المنادي أن يذهب كل رجل لأخذ البيض الذي أعطاه، فاستجاب الناس، وذهب كل منهم لأخذ ما أعطاه، وهنا وقف الوزير والملك وحاشيتهم، وهم يتابعون الناس في أثناء أخذ البيض، ترى ما الذي وجدوه؟

وجدوا كل واحد تمتد يده ليأخذ البيضة الكبيرة التي ربما لم يأتِ بها، هنا وقف الوزير ليعلن للملك أنه الآن فقط يستطيع أن يفعل بهم ما أراد، فقد أخذ كثير منهم حاجة

أخيه وأكل حرامًا، ونظر كل منهم لما في يد الآخر، فلن يتجمعوا بعدها أبدًا.

لا عجب في ذلك، فقد أشار الرسول ﷺ: «**مطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يُستجاب لذلك**»[1].

من هنا لجأت بعض الحكومات إلى انتهاج السياسة نفسها، وذلك بتجويع الناس ليلجؤوا إلى المال الحرام، ولو في أبسط صوره، وجعلهم طبقات، فينشأ الحقد والحسد بين الناس، وهو ما يجعلهم يستطيعون حكم شعوبهم، وعندما مر الزمن، وقامت فئة واعية، تبصر ما فعله الملك بشعبه، أخذوا يثورون، ويطالبون بحق الشعب في الحياة الطيبة، فلجأ الملك لوزيره الذي أشار عليه بسياسة جدول الضرب، فما هذه السياسة؟

أن يستخدم الملك العمليات الحسابية: الجمع، والطرح، والضرب، والقسمة، في تعامله مع هذه الفئة التي تطالب بحقوقها وحقوق الوطن، كيف؟ أولًا يبدأ بعملية الجمع، فيجمع ما استطاع منهم حوله بأن يتقلدوا المناصب، ويأخذوا الأموال والأوسمة، فينسوا القضية بعد أن يكسر الملك عيونهم بفضله عليهم.

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٠١٥).

أمـا الفئـة التي تظـل علـى موقفهـا، وبالضـرورة هم قلـة، فيلجأ الملـك للطرح، فيطرحهم أرضًـا بتلفيق القضايا واستخدام نقطة الضعف في كل واحد منهم، وبذلك يتوارون عـن الأنظار، إما خجلًا أو خلـف غياهب السجون، شرط أن تكـون كل القضايـا بعيدة عـن خلافهم مع الملـك، أي يكون التدبير محكمًا ونظيفًا.

أمـا مـن تبقى، وهـم قلة القلة، فـإذا خرجـوا يهتفون، ويـنـددون، فالـرأي أن يُلجـأ للعلامـة الثالثة مـن العلامات الحسابية، وهي الضرب، فضربُهم وسحلُهم والتنكيلُ بهم في الطرقات، سوف يخيف الباقين من تكرار الخروج والثورة.

هنا تساءل الملك: ترى ما الذي سيكون عليه حال الشعب؟ فضحك الوزير، قائلًا: يا سيـدي، لم يتبقَّ للشعب في معادلتنا سوى علامة واحدة هي القسمة، قال الملك: وماذا تعني؟

فأجـاب الوزيـر: أعني أنـه لن يكون أمامهـم سوى أن يخضعوا، ويفلسفوا عجزهم بقولهم: قسمتنا هكذا! ربنا على الظالم! يعني على جلالتك! وهذا أمر مؤجل ليوم القيامة.

شعر: قُل للطُّـغاةِ بكـلِّ عصـرٍ:

الشعبُ يبقى والبُغاةُ تغيبُ